أو في مجالسة العلماء أو الضيفان أو العيال أو قضاء حاجة مسلم أو جبر قلب مكسور ونحو ذلك فعل، أو في صوم أو قراءة أو ذكر أو أكل وشرب أو جِدّ أو مزاح أو عزلة أو مخالطة أو تنعّم أو ابتذال ونحوها أتى به، فحيث رأى الفضيلة في شيء من هذا فعله، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ولا يرتبط بعادة ولا بعبادة مخصوصة كما يفعله المرائي. ولا شك في اختلاف أحوال الشيء في الأفضلية، فإن الصوم حرام يوم العيد، واجب قبله، مسنون بعده، ويندب تحسين اللباس يوم الجمعة والعيد، وخلافه يوم الاستسقاء وما أشبه ذلك انتهى، وأقوالهم غير محصورة في ذلك والله تعالى أعلم.

الباب الأول

في فضيلة الاشتغال بالعلم على ما تقدم في ترجمته وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في فضيلة الاشتغال بالعلم وتصنيفه وتعلمه وتعليمه ونشره وحضور مجلسه والحث على ذلك، وترجيح الاشتغال به على الصلاة والصيام ونحوهما من العبادات القاصرة على فاعلها.

قال تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ). (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا). (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ). (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) إلى قوله: (ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ). (يَرْفَعِ اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) إلى غير ذلك من الآيات في الأصلين المذكورين سابقًا .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ . وقال صلى الله عليه وسلم لعليّ رضي الله عنه فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ . وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه إلى اليمن : لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا . وقال صلى الله عليه وسلم : إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًى بِمَا يَصْنَعُ . وقال صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا ، وَحَتَّى الْحُوتَ فِي الْمَاءِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرَ . وقال صلى الله عليه وسلم : طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ . وقال صلى الله عليه وسلم : مَنْ طَلَبَ عِلْمًا فَأَدْرَكَهُ كَتَبَ اللهُ لَهُ كِفْلَيْنِ مِنَ الْأَجْرِ ، وَمَنْ طَلَبَ عِلْمًا فَلَمْ يُدْرِكْهُ كَتَبَ اللهُ لَهُ كِفْلًا مِنَ الْأَجْرِ .

وروى النَّووي بسند متصل بزكريا بن يحيى الساجي قال : كنا نمشي في أزقّة البصرة إلى باب بعض المحدّثين فأسرعنا في المشي وكان معنا رجلٌ ماجنٌ متّهمٌ في دينه فقال : ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة كالمستهزئ فما زال من موضعه حتى جفّت رجلاه وسقط ، وأسند أيضًا إلى أبي داود السجستاني أنه قال : كان في أصحاب الحديث رجل خليع إلى أن سمع حديث : إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًى بما يصنع ، فجعل في نعليه مسمارين من حديد وقال : أريد أن أطأ أجنحة الملائكة ، فأصابته الآكلة في رجله ، وفي رواية : فشلّت رجلاه ويداه وسائر أعضائه ، وفي رواية أنه تفسّخت بنيته .

وقال صلى الله عليه وسلم : نَوْمٌ مَعَ عِلْمٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ عَلَى جَهْلٍ . وقال صلى الله عليه وسلم : يَقُولُ اللهُ عزّ وجلّ لِلْعُلَمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنِّي لَمْ أَجْعَلْ عِلْمِي وَحِلْمِي فِيكُمْ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْفِرَ لَكُمْ عَلَى مَا كَانَ فِيكُمْ وَلَا أُبَالِي .

وقال صلى الله عليه وسلم : مَجْلِسُ فِقْهٍ خَيْرٌ مِنْ عِبادَةِ سِتِّينَ سَنَةً ، وقال صلى الله عليه وسلم : قَلِيلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْعِبادَةِ .

وقال صلى الله عليه وسلم : مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ لِيَتَعَلَّمَ خَيْراً أَوْ لِيُعَلِّمَهُ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ مُعْتَمِرٍ تَامِّ الْعُمْرَةِ ، وَمَنْ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ لِيَتَعَلَّمَ خَيْراً أَوْ يُعَلِّمَهُ فَلَهُ أَجْرُ حَاجٍّ تَامِّ الْحِجَّةِ ، وعن علي رضي الله عنه : العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلم لا يسدُّه إلاَّ خلف منه ، وعنه رضي الله عنه : كفى بالعلم شرفاً أن يدّعيه من لا يحسنه ويفرح إذا نسب إليه ، وكفى بالجهل ذماً أن يتبرّأ منه من هو فيه . وعنه رضي الله عنه أنه قال لكُمَيْل بن زياد يا كُمَيل العلمُ خيرٌ من المال ، العلم يحرسك ، وأنت تحرُسُ المال ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، والمال تُنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ، وعنه : قيمة كلّ امرئ علمه .

وقال صلى الله عليه وسلم [1] : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إِذَا جَاءَ الْمَوْتُ طَالِبَ الْعِلْمِ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مَاتَ شَهِيداً ، وعن وهب ابن منبّه : يتشعب من العلم الشرف وإن كان صاحبه دنيئاً ، والعزّ وإن كان مهيناً والقرب وإن كان قصيّاً ، والغنى وإن كان فقيراً ، والنُّبل وإن كان حقيراً ، والمهابة وإن كان وضيعاً ، والسلامة وإن كان سقيماً .

وقال سهل بن عبد الله التُّستَري : من أراد النظر إلى مجالس الأنبياء فلينظرْ إلى مجالس العلماء ، فأعرفوا لهم ذلك .

وعن الشافعي وأبي حنيفة : إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله فليس لله وليّ .

وقال الشافعي : طلبُ العلم أفضلُ من صلاة النافلة . وقال : من طلب الدُّنيا فعليه بالعلم ، ومن طلب الآخرة فعليه بالعلم . وقال : من لا يحبُّ العلم لا خير

---

(١) في حاشية الأصل : لعله بعض الصحابة . وفي مقدّمة شرح المهذب وقالا (أي أبو ذر وأبو هريرة) .

فيه فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة . وقال: من تعلّم القرآن عظُمت قيمته ، ومن نظر في الفقه نَبُل قدره ، ومن نظر في اللغة رق طبعه ، ومن نظر في الحساب جزُل رأيُه ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن لم يَصُنْ نفسه لم ينفعه علمه .

وقيل للإسكندر: ما بالُ تعظيمك لمؤدبك أشدّ من تعظيمك لأبيك فقال: لأن أبي سببُ حياتي الفانية ، ومؤدبي سببُ حياتي الباقية . وقد حذفت كثيراً من الأحاديث وأسانيدها فراجعها إن افتقرت إليها ، وإلاّ ففي ما رقمته كفاية لذلك .

وليم في فضل العلم أشعار كثيرة حسنة من عيونها ما روي عن علي رضي الله عنه :

ما الفخر إلاّ لأهل العلم إنهمُ ... على الهدى لمن استهدى أدِلاّءُ
وقدر كلّ امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداءُ
ففُزْ بعلمٍ ولا تجهل به أبداً ... فالناس موْتى وأهلُ العلم أحياءُ

وما جاء عن أبي الأسود الدؤلي رحمه الله تعالى :

العلم زينٌ وتشريف لصاحبه ... فاطلب هُديتَ فنونَ العلم والأدبا
لا خير فيمن له أصلٌ بلا أدب ... حتى يكون على ما زانه حدبا
في بيت مكرُمة آباؤه نُجُبٌ (١) ... كانوا الرؤوس فأمسى كلُهم ذنبا
وخامل مُقْرِف الآباء ذي أدب ... نال المعالي بالآداب والرُّتبا
أمسى عزيزاً عظيم الشأن مشتهراً ... في خدّه صَعَرٌ قد ظلّ محتجبا
العلم كنزٌ وذخرٌ لا نفاد له ... نعم القرين إذا ما صاحب صحبا
قد يجمع المرء مالاً ثم يُحْرَمُه ... عما قليلٍ فيلقى الذُّلَّ والحَرَبا
وجامع العلم مغبوطٌ به أبداً ... ولا يحاذر منه الفوتَ والسلَبا
يا جامع العلم نعم الذُّخرُ تجمعه ... لا تَعْدِلَنّ به دُرًّا ولا ذهَبا

(١) بالخاء والجيم .

وما جاء عن الشافعي رضي الله عنه :

حسبي بعلمي إن نفع ... ما الذل إلا في الطمع
من راقب الله رجع ... عن سوء ما كان صنع
ما طار طير وارتفع ... إلا كما طار وقع

وما نسب لمحمد بن الحسن :

تعلّم فإن العلم زين لأهله ... وفضل وعنوان لأهل المحامد
وكن مستفيداً كل يوم زيادةً ... من العلم واسبح في بحار الفوائد
تفقه فإن الفقه أفضل قائد ... إلى البر والتقوى وأعدل قاصد
هو العلم الهادي إلى سنن الهدى ... هو الحصن ينجي من جميع الشدائد
فإنّ فقيهاً واحداً متورّعاً ... أشدُّ على الشيطان من ألف عابد

وما أنشد الشيخ قوام الدين حماد الغفاري الأنصاري لشيخه القاضي الخليل بن أحمد السجزي الحنفي :

اخدم العلم خدمة المستفيد ... وأدم درسه بفضل حميد
وإذا ما حفظت شيئاً أعده ... ثم أكده غاية التأكيد
ثم علقه كي تعود إليه ... وإلى درسه على التأبيد
وإذا ما أمنت منه فواتاً ... فانتدب بعده لشيء جديد
مع تكرار ما تقدم منه ... واقتناء لشأن هذا المزيد
ذاكر الناس بالعلوم لتحيى ... لا تكن من أولي النهى ببعيد
إن كتمت العلوم أنسيت حتى ... لا ترى غير جاهل وبليد
ثم ألجمت في القيامة ناراً ... وتلهبت في العذاب الشديد

وللزمخشري :

وكل فضيلة فيها سناء ... وجدت العلم من هاتيك أسنى
فلا تعتدّ غير العلم ذخراً ... فإن العلم كنز ليس يفنى

وللإمام منصور التميمي أحد أئمة المذهب :

عاب التفقهَ قومٌ لا عقول لهم ... وما عليه إذا عابوه من ضررِ
ما ضرّ شمسَ الضحى والشمسُ طالعةٌ ... أن لا يرى ضوءَها من ليس ذا بصرِ

ولبعضهم :

تفقه تستطيلُ على الرجالِ ... وتزهو في المحافل بالكمالِ
إذا وقع القياسُ بكل علمٍ ... فحال الفقه يعلو كل حالِ
ومن طلب التفقهَ وانتحاهُ ... أنافَ برأسه تاج الجمالِ
فخذ بالشافعيّ وقل بقولٍ ... سديدٍ عند مختلف المقالِ
ففضل الشافعيّ على سواهُ ... كفضل الشمس قيستْ بالهلالِ

ولآخر :

علِّم العلمَ من أتاك لعلمٍ ... واغتنم ما حييتَ منه الدعاءَ
وليكن عندك الغني إذا ما ... طلب العلمَ والفقيرُ سواءَ

ولآخر :

وفي الجهل قبل الموت موتٌ لأهله ... فأجسادهم بين القبور قبورُ
وإن امرءاً لم يحيَ بالعلم ميتٌ ... فليس له حتى النشورِ نشورُ

ولآخر :

تعلَّم فليس المرءُ يُخلقُ عالمًا ... وليس أخو علمٍ كمن هو جاهلُ
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغيرٌ إذا التفّت عليه المحافلُ

ولآخر :

صدرُ المجالس حيث حلّ لبيبُها ... فكن اللبيبَ وأنت صدر المجلس

وللمتنبي :

ولم أرَ من عيوب الناس عيبًا ... كنقص القادرين على الكمال

الفصل الثاني

في تحذير من أراد بعلمه غير الله تعالى، نسأل الله العافية

إعلم أن ما ذكر في فضل طلب العلم إنما هو لمن أراد به وجه الله، لا لغرض من الدنيا، وإلا فهو مذموم.

قال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ). وقال تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ). وقال تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا. وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا. كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا). وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ). وقال تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) إلى غير ذلك من الآيات، ولا يخفى الحديث الذي فيه الثلاثة الذين أول من تسعر النار لهم يوم القيامة المجاهد والعالم والقارئ، فهؤلاء جاء في حديث رواه مسلم أول من يدخل النار ويسحب كل منهم على وجهه حتى يلقى في النار، لقصدهم الرياء في أعمالهم: المجاهد ليقال شجاع، والعالم ليقال عالم، والقارئ ليقال قارئ، اللهم خلصنا إلى الإخلاص.

وقال صلى الله عليه وسلم: مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا لِغَيْرِ اللَّهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.

وقال صلى الله عليه وسلم: مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ،

أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ ، وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ .

وقال صلى الله عليه وسلم : كُلُّ عِلْمٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِهِ ، وقال صلى الله عليه وسلم : أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ ، وقال صلى الله عليه وسلم : مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ ، مَثَلُ الْفَتِيلَةِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ ، وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ (١) . وقال صلى الله عليه وسلم : مَنْ كَتَمَ عِلْمًا مِمَّا يَنْفَعُ اللهُ النَّاسَ بِهِ فِي أَمْرِ الدِّينِ أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ . وقال صلى الله عليه وسلم : أَلَا إِنَّ شَرَّ الشَّرِّ شِرَارُ الْعُلَمَاءِ ، وَإِنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ خِيَارُ الْعُلَمَاءِ . وقال صلى الله عليه وسلم : مَنْ قَالَ أَنَا عَالِمٌ فَهُوَ جَاهِلٌ . وقال صلى الله عليه وسلم : يَظْهَرُ الدِّينُ حَتَّى يُجَاوِزَ الْبِحَارَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِكُمْ أَقْوَامٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ يَقُولُونَ مَنْ أَقْرَأُ مِنَّا ؟ وَمَنْ أَفْقَهُ مِنَّا ؟ وَمَنْ أَعْلَمُ مِنَّا ؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال : هَلْ فِي أُولَئِكَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قالوا : لَا قال : أُولَئِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ، وقال صلى الله عليه وسلم : آفَةُ الْعِلْمِ النِّسْيَانُ ، وَإِضَاعَتُهُ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ غَيْرَ أَهْلِهِ ، وقال صلى الله عليه وسلم : وَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : إن موسى لقي الخضر فقال : أوصني ، فقال الخضر : يا طالب العلم إن القائل أقلُّ ملالةً من المستمع فلا تُمِلَّ جلساءك إذا حدَّثتهم ، واعلم أن قلبك وعاءٌ فانظر ماذا تحشو به وعاءك ، واعرف الدنيا وانبذها وراءك ، فإنها ليست لك بدار ، ولا لك فيها محلّ قرار ، وإنما جُعلت بُلغةً للعباد ، ليتزوَّدوا منها للمعاد ، يا موسى وطِّنْ نفسك على الصَّبر تلقَ الحلم ، وأشعِرْ قلبك التقوى

---

(١) كذا في الأصل ، وفي الجامع الصغير واقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي : تضيء الناس وتحرق نفسها .

تَنَل العلم ، ورُضْ نفسك على الصبر تخلُصْ من الإثم ، يا موسى تفرَّغ للعلم إن كنتَ تريده ، فإنما العلم لمن تفرَّغ له ، ولا تكون مِكثاراً بالمنطق مِهذارا ، إن كثرة المنطق تَشين العلماء ، وتبدي مساوئ الخفاء ، ولكن عليك بذي اقتصاد ، فإن ذلك من التوفيق والسَّداد ، وأعرض عن الجهال ، واحلم عن السفهاء ، فإن ذلك فضل الحُلَماء ، وزَين العلماء ، إذا شتمك الجاهل فاسكت سِلْما ، وجانبه حَزْما[1] .

يا ابنَ عمران : لا تفتحنّ باباً لا تدري ما غَلْقه ، ولا تُغْلقنَ باباً لا تدري ما فَتْحه .

يا ابنَ عمران : من لا تنتهي من الدُّنيا نَهْمته ، ولا تنقضي فيها رغبته كيف يكون عابداً ؟ مَن يَحقِر حاله ، ويتّهم اللهَ بما قضى له ، كيف يكون زاهداً ؟ يا موسى تعلَّم ما تَعلَّمُ لتعمل به ، ولا تَعلَّمْه لتحدّث به ، فيكون عليك بورُه ، ويكون لغيرك نوره .

وعن هشام صاحب الدَّسْتَوائي قال : قرأت في كتاب بلغني أنه من كلام عيسى : تعملون للدُّنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلاَّ بالعمل ، وإنكم لملآء السوء الأجرَ تأخذون ، والعمل تضيّعون ، يوشك رب العمل أن يطلب عمله ، وتوشكون أن تخرجوا من الدُّنيا العريضة إلى ظلمة القبر وضيقه ، الله نهاكم عن الخطايا كما أمركم بالصيام والصلاة ، كيف يكون من أهل العلم من سَخِط رزقَه ، واحتقر منزلتَه ، وقد علم أن ذلك من علم الله وقُدرته ؟ كيف يكون من أهل العلم من اتّهم الله فيما قضى له ، فليس يرضى شيئًا أصابه ؟ كيف يكون من أهل العلم من دُنياه آثرُ عنده من آخرته وهو مقبلٌ على دُنياه ، وما يضرُّه أحبُّ إليه مما ينفعه ؟ كيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به ، ولا يطلبه ليعمل به ؟

وعن عليّ رضي الله عنه : يا حَمَلةَ العلم اعملوا به فإنما العالم من عَمل

---

(١) بالحاء المهملة ويجوز بالجيم .

بما علم ، ووافق علمُه عمله ، وسيكون أقوام يحملون العلمَ لا يجاوزُ تراقيهم يخالف علمُهم عملهم ، وتخالف سريرتهم علانيتهم ، يجلسون حِلَقا فيباهي بعضهم بعضًا حتى إن الرَّجل ليغضب علَى جليسه أن يجلس إلى غيره ويدَعَه ، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تعلموا العلم وعلّموه الناس ، وتعلموا الوَقار والسكينة ، وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم ، وتواضعوا لمن علمتموه العلم ، ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم .

وعن ابن سيرين سبعة يَهلِكون بسبعة : أهل البادية بالجفاء ، وأهل القرى بالجهل ، والعرب بالعصبية ، والدَّهاقين[1] بالكِبْر ، والسلاطين بالظلم ، والتجار بالكذب ، والعلماء بالحسد .

وعن سفيان الثوري قال : بلغني أن الله تعالى يقول : إن أهون ما أصنع بالعالم إذا آثر الدُّنيا أن أنزع حلاوةَ مناجاتي من قلبه .

وعن مجاهد : لا يتعلم من استحى واستكبر .

وعن علي بن خَشْرَم : شكوت إلى وكيع ِ قلةَ الحفظ فقال : استعن علَى الحفظ بقلة الذُّنوب ، ونظم بعضهم ذلك فقال :

شكوتُ إلى وكيع ٍ سوءَ حفظي ... فأرشدَني إلى ترك المعاصي

وقال اعلم بأن العلم فضلٌ ... وفضلُ الله لا يُؤتاه عاصي

---

(١) الدَّهاقين هم رؤساء القرى .

الفصل الثالث

في تحذير من آذى أو انتقص عالماً ، والحث على إكرام العلماء وتعظيم حرماتهم

قال تعالى: (وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) . وقال تعالى : (وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) . وقال تعالى: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) إلى غير ذلك من الآيات في الأصل .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ رواه البخاري .

وعن الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما : إن لم تكن الفقهاء أولياء الله فليس لله ولي .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : من آذى فقيهاً فقد آذى رسول الله ، ومن آذى رسول الله فقد آذى الله عز وجل .

وقال صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ لِعَالِمِنَا .

وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يَسْتَخِفُّ بهم إلاَّ منافق : ذُو الشَّيْبَةِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَذُو الْعِلْمِ ، وَإِمَامٌ مُقْسِطٌ .

وعن الإمام أحمد : لحوم العلماء مسمومةٌ ، من شمَّها مرض ، ومن أكلها مات ، وقال الحافظ ابن عساكر : اعلم أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ، وإن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ، بلاه الله قبل موته بموت القلب ، (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .